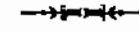


ذريني ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب



[« ... ورأيت النار فلم أر منظرًا كالذي قطع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » . قيل : يا رسول الله ؟ قال : « يكفرون بالله ؟ قال : « يكفرون بالشر ، ويكفرون بالاحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً ؟ قالت : ما رأيت منك خيراً قط »]
حديث شريف

ذريني أطربين فلجات الأرض ومضلات السماء ، أستشف بهاء الحياة وجمالها !

ذريني أحطم الأغلال الثقالة التي أرسف فيها ، لأفر من هذا السجن الأسود ، أنشم روح الحياة والحرية !
ذريني أنحلل من هذا الملبأ القادح ، فلقد آدنى ، فاعدت أطيقه ! ...

ذريني أرى الدنيا ، فلقد وجدت فقد هامين طيات نفسي الوثابة !



يا عجباً ! لقد جفّ قلبي وذوت سمادتي !
فهذا هو القمر يتألق في السماء ، والأرض نائمة في سكون ، وأنا أرمقه من خلال هموي ، فلا أحس فيه الجمال ولا النعمة ...
وتنفس الفجر ، فالمت في نسائه الندبة بردّ الراحة ولا نشوة اللذة ...

وافترّ ثمر المشرق عن ابتسامة الشمس ، وأنا - وحدي -
جاثم على نثر لا أستبشر لبساتها ...
وإن الروض ليضحك ، فما أرى في ضحكاته سوى فتون من الكآبة والحزن ...

وإن الندير ليمزق على قيثارة لحن الخلود الشجي ، فما تنطرب له نفسي ...

يا عجباً ! أفكل هذا لأنك - أيها المرأة - إلى جاني تنفثين في روح الشر ؟



أيها المرأة ، لطلالا قوّت إلى قلبي سهامك المراشاة ، فاضطرم بالهموى وتلهب بالشوق . والآن ها هو ذا قد شاط بينها فاعاد قلباً ، ولكن مضفة لا تتحرك .

ولطلالا سهرت أناجيك - وأنت في منأى عني - والآن هدني الإعياء ؛ فذريني أقذف بأعبائي جانباً ، لأنوسد ذراعي على الحصاة ، في ظلال شجرة وارفة ، إلى جانب غدير ، تسكنني نسبات الربيع الهينة ، فنستمتع بنفسى بحنان الطبيعة وهدهود الكرى ولطلالا أوحى إليّ شيطان أنك أنت فوق البشرية ، أنك بسمه الخالق على الأرض الحزينة ، فإذا ... ماذا رأيت الآن ؟ ولطلالا استلهمت منك جبال الفن ، ورسمتك بريشة الخيال في أضفاف قلبي ، ثم لستك ، فإذا ... ماذا وجدت ؟



أخفك أنك أنت مادة الشاعر حين يتغنى بكلمات تندق للنشوة واللذة من خلالها ؟

أخفك أنك أنت ريشة المصور التي تمثت بالألوان فإذا هي حياة ؟ أخفك أنك أنت لحن الموسيقى الساوي حين يداعب أوتار قيثارة فتحدث عن خلجات القلوب ؟

أخفك أنك أنت لمة الحياة إن شمل الكون ظلام الموت ؟ كلا ... كلا ! إنه هو خيال الرجل يضيفه عليك - حيناً بعد حين - فيبعث فيك الكبرياء البغيضة ، ويسمو بك إلى آفاقه هو ، في حين أنك أنت ...

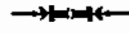


كان هذا خيالي حين استهوئني شياطينك فتمنيت ... ولما خبرتك فزعت عنك ، لا أطمع في حديث ، ولا أرنو إلى لقاء ليت هذا الرجل يعلم ... ليته يعلم أنك قد صرنت على الخلل والخلداع ، ودربت على الشغب والمكيدة ، وأحييت نفسك فشفلتك فألهتك عن أن تكوني امرأة لرجل ، وترت بك نزوات الكبرياء فذهبت تفزعين من أنوثتك الوضيعة ... ذهبت تفزعين منها لتكوني بدعاً في الرجال !

لئن أفرق من جمالك وقبحك ، وأنزع من ابتساماتك

النَّبأى

هذه الأغنية منظومة على بحر بن خلتفين رغبة في توبيخ بحرى النعم ،
والبحر الأول وضحه الشاعر ، وأجزاؤه : فاعلان مفاعلتن (مرتين) ،
ولكن اسمه : النطالق . وأما البحر الثانى فن البحر المعروف .



جَبَبُوا النَّأىَ عَنِ أَذْنِى أَذْنِى زُلُوتِ طَرَبَا
مِثْلَ قَلْبٍ مُّحَدِّثُهُ مَرَّةُ السَّرْدِ فَاضْطَرَبَا

أَوْتَارُ الْخَاطِرِ تَغْمِزُهَا أَنَا نَأَى فَتَرَجِفُ
فَيَضِجُ الْجَنْبُ بِأَغْنِيَةٍ حَرَاءَ قَرَارُهَا التَّلَفُ

نَعْمُ جَاءَ بِفَتِكَ بِي ذَاعَ فِي السَّمْعِ مُصْطَلَحِيَا
مِثْلَ دَمْعٍ يُغَالِيبُنِي دَارَ فِي الْمَيْتِ مُلْتَبِيَا

عَطَفَاتُ النَّأَى مُصَعَّدَةٌ فِي اللَّيْلِ مُلَوَّعًا تَنْقَعِيفُ
صَبَوَاتُ الرُّوحِ يُطَوِّحُهَا فِي الْيَوْمِ الْعَابِسِ مُلْهَيْفُ

القاهرة ، مايو ١٩٣٤ بئر فارس

الموى والحنان ، لأن روح الأبوة تتأجج في أحماق قلبي فتسلبني
الهدوء والاستقرار

فأين أجد ابني ؟ ... وهو جمال الحياة ، وبهجة القلب ، وفرحة
النفس ، وزهرة الدار ، وشبابي اللئاع حين يوشك أن يَنْبَتَ
جبل العمر ...

واحسرتا ! إنني لن أجد إلا فيك ... فيك أنت أيتها البقيضة !
ويا بني ، لست في غنى عنك ، فأنا أجد في ثأبك فراغ الحياة ،
وظلام العيش ، ووحشة الطريق ...

فتمال ... تمال إلى - يا بني - على أجد فيك صورة من
طفولتي الجميلة المرحية ، أو أجد سعادتي المفقودة ... حين أجد ابني !

لامس محمود هبيب

وعبراتك ، وأخاف رضاك وسُخْطك ، وأجزع من عطفك
ومقتك ، وأرهب صحبتك وفراقك ... فإذا ... ماذا بقي فيك
أطمئن إليه ؟

هذه الدار الهادئة قد ملئت بك نجة تحطم في خواطري الجميلة
وهذا القلب الشاب الندي قد استنصر الوهن حين مسحت
بجبالك على شفافه

وهذه الحياة الوضاعة قد أظلمت حين أشرقت في جنباتها
فدربني ... دربني - أيتها المرأة - أقتس عن شباب قلبي !

دربني . . . دربني ، يا شقاء القلب !
ولكن ، آه ، أين منك الخلاص ؟

إن شيطانك ما يفتأ يلاحقني ، فإذا أنجزه أن يسيطر على
في يقظتي ، تبدى لي ، بين أحلامي ، في زينته الجذابة
وهذا الجمال الذي تنفّر منه نفسي لأنني أنفذ إلى حقيقته
القييحة ، يتراءى لي - في منأى - في صفاء قطرة الندى على
الزهرة البيضاء النضيرة ، يأسرني رويداً رويداً

وهذه النظرات التي أرى من خلالها الدغل والشر والرياء
جميعاً ، تنفذ إلى قلب أحلامي فتستخرج أضغان صدري
وهذا القدر المضطرب للتكسر يهفو إلى فيما يرى النائم حلواً

يميس في خطرات النسيم بين رؤى نوى

وهذه المرأة التي أنبذها ، تسمى إلى - دائماً - حين يأخذ
بنفسى الكرى ... تسمى إلى لتضمني إليها ، خشية أن أفلت منها
ومن متاعها في وقت ممّا

ولكن ... ولكن دربني ، يا شقاء القلب !

آه ، لقد طرحتك ، أيتها المرأة ، فلا أحس بالمطف عليك ،
وفررت منك فلا أحسن إليك ، وصدفت عنك فلا أصبو إليك ،
وطرت عنك فلا أسقط عليك ...

ولكن كيف ! وقلبي ما يزال يتصدع عن ثمرة يتوئب منها